OPEN ACCESS
DOI: https://doi.org/10.35560/jcofarts103/93-112

فكرة الماء، بين الأدب الأسطوري، والمنحوتات الرافدينية

برزان احمد نصرالله [1]

مجلة الأكاديمي-العدد 103-السنة 2022 ISSN(Online) 2523-2029, ISSN(Print) 1819-5229
تاريخ استلام البحث 2022/1/9 , تاريخ قبول النشر 2022/3/7 , تاريخ النشر 2022/3/15

This work is licensed under a Creative Commons Attribution 4.0 International License

ملخص البحث:

يعتبر الماء كمادة فكرية أساسية في أساطير الخلق و بداية التكوين، وقد أوضح ذلك جلياً في الأدب الأسطوري، لذلك اصبح مفهوماً مقدساً في الإدراك، وعلى هذا النحو تحول الماء الى مادة فكرية في النصوص الأدبية الأسطورية، علاوة على توظيفه في الاعمال النحتية الرافدينية. يتناول البحث ثلاثة مباحث، فالأول منها (الأسطورة، مفهومها وخصوصياتها وأنواعها)، والمبحث الثاني: (الأدب الأسطوري)، و المبحث الثالث (فكرة الماء و الأدب الأسطوري). تناولت مشكلة البحث في السؤال الآتي: هل إنعكست فكرة الماء على الأدب الأسطوري؟ وهل تعالقت بالنتاجات النحتية؟، كما تمثلت أهمية البحث في إظهار الخيال الإنساني، وعلاقته بتوظيف الماء كعنصر أدبي و أسطوري و تشكيلي، بهدف الكشف عن اظهار اثره بين الأدب الأسطوري، و المنحوتات الرافدينية. ثم تحديد مؤشرات الإطار النظري، و تحليل عينات البحث وعرض نتائجه، ملخصاً بإظهار فكرة الماء و دلالاته كالخليقة و التقديس و الخصوبة، و عنصر توظيفي بين الأدب الأسطوري الرافديني و منحوتاته. و خاتمة باللأستنتاجات وقائمة المصادر والملخص الانكليزي.

الكلمات المفتاحية: الفكرة، الأسطورة، الأدب.

- أشكالية البحث: مثلت ماهية فكرة الماء و اثرها على الأدب الأسطوري، و انعكاساتها التشكيلية، كرمز و دلالة على أشكالية مدلوله، حول الخليقة و مادة التكوين، فضلاً عن الجوانب الأجتماعية و الدينية و الفنية، و للأسطورة أو الأدب الأسطوري دورها التوظيفي لهذه الأشكالية، المرتبطة بروحية الإنسان و إستنتاجاته الفكرية و الأدبية و التشكيلية، و عليه يقدم البحث تساؤلات ضمن أشكالية البحث على النحو الآتي: هل تؤثر فكرة الماء على الفكر الأسطوري و الأدبي و الديني و التقديس؟ و هل هناك تعالق بالنتاجات التشكيلية و الأدبية؟، فأن الباحث يهدف للإجابة و فك المدلولات في العلاقات بين الماء كفكر توظيفي والأدب الأسطوري والفن التشكيلي النحتي في حضارة وادي الرافدين، من خلال البحث وإظهار نتائجها.

[1] كلية الفنون الجميلة / جامعة السليمانية، barzan.nasrullah@univsul.edu.iq .

مجلة الأكاديمي-العدد 103-السنة 2022 ISSN(Online) 2523-2029, ISSN(Print) 1819-5229

- **أهمية البحث:** يتناول بنية مهمة في جانب الخيال الإنساني المتمثل في تفعيل الماء كعنصر اسطوري و أدبي في حضارة وادي الرافدين، و علاقته بآلية توظيفه بين الأدب الأسطوري و المضمون و الشكل النحتي، و التأكيد على ان هناك ثقافة أدبية و فكرية رافدينية، ظاهرة في قيمة الأدب الأسطوري من جانب، كنتاج فكري بشري، و قيمة الماء كفكر علاقاتي من عناصرها المتكونة و إظهار انعكاساتها على الفكر التشكيلي وفق ابداعية العمل الفني في المنحوتات الرافدينية من جهة أخرى.

- **هدف البحث:** هو الكشف عن اظهار اثر فكرة الماء في الأدب الأسطوري، و بيان انعكاساتها التشكيلية على المنحوتات الرافدينية.

- **حدود البحث:** و يشمل حقبة تاريخية قديمة لحضارة وادي الرافدين، بين (2300 - 1800 ق.م)

- **المصطلحات المفتاحية و تعريفها:** الفكرة، الأسطورة، الأدب:

الفكرة: لغويا: "كالفِكرُ وقد فكر في شيء، و أفكَرَ فيه و تَفَكرَ بمعنى، و فِكرُ: كثير الفِكر (الأخيرة عن كراع). و من الجوهري: التَفَكرُ التأمُلُ، و الاسم الفِكرُ و الفِكرَةُ و المصدر الفِكرُ بالفتح" (Manzur, Without a year, p. 3451)، اصطلاحاً: "نموذج عقلي للأشياء الحسية. تصور ذهني يتجاوز عالم الحس" (Saeed, 1985, p. 168). اجرائياً: وهي قدرة تعبيرية انسانية، و نوع استنتاجي من الفكر و التأمل الإنساني، تخص مضموناً و تشير الى موضوع مهيمن من ابداع الفكر نفسه، بدافع مجموعة من العوامل و دمج مجموعة من العناصر الذهنية و الواقعية.

الأسطورة: لغوياً: "(السطر)، الصف من الشيء... وهو في الأصل مصدر بابه نصرَ و (سطراً) ايضاً بفتحتين و الجمع (اسطار) كسبب و اسباب و جمع الجمع (أساطير)... و (الأساطير) الأباطيل الواحد (اسطورة) بالضم و (اسطارة) بالكسر" (Qadir, 2005, p. 153). إصطلاحاً: "الأساطير هي حكايات تولدت في المراحل الأولى للتاريخ، لم تكن صورها الخيالية (الالهة، الابطال الأسطوريون، الأحداث الجسام.. الخ) الا محاولات لتعميم و شرح الظواهر المختلفة للطبيعة و المجتمع..." (The Soviets, 5th Edition, 1985, p. 23)، أو "قصة خرافية أو تراثية و عادة ما تدور حول كائن خارق القدرات و الأحداث ليس لها تفسير طبيعي، و عادة تحاول الأسطورة شرح ظاهرة أو حدث غريب دون اعتبار للحقيقة العلمية" (Fathy, 1986, pp. 27-28). إجرائيا: هي قصة حكائية خيالية مستنتجة من خيال و ذاتية وآلية الفهم للانسان القديم، من اجل تفسير الظواهر بمرجعية الابداع الفكري و عدم تحديد زمنها و مكانها.

الأدب: لغوياً: "رياضة النفس بالتعليم و التهذيب على ما ينبغي، و جملة ما ينبغي لذى الصناعة أو الفن ان يتمسك به، و جميل من النظم و النثر و كل ما أنتجه العقل الإنساني من ضُروب المعرفة" (Arabic Language Academy, p. 9) . إصطلاحاً: "كتابات فيها التعبير و الشكل لهما صلة وثيقة بمعاني و مناحي اهتمام ذات دلالات شاملة و دائمة.. وهو وسيلة سردية قصصية توجه اضاءتها الخاطفة الى عرض أحداث سبقت في وقوع المشهد الإفتتاحي للعمل الأدبي" (Fathy, 1986, pp. 27-28). إجرائياً: وسيلة من وسائل التعبير المتكون من الافكار و القصص و المواضيع و الأحداث بشكل شفوي أو تصيغ بلغة كتابية معينة و يمكن ان تنسب الى زمن قديم أو معاصر.

مجلة الأكاديمي-العدد 103-السنة 2022 ISSN(Online) 2523-2029, ISSN(Print) 1819-5229

المبحث الأول: الأسطورة، مفهومها و خصوصياتها و انواعها :

ان الأسطورة و جذورها تعود الى ازمان سحيقة في تاريخ حياة الإنسان البدائي الفطري، و نشأت منذ فجر تأريخه و تكوين عقله اللامنطقي، كما تعرف بإنها عبارة عن مجموعة من القصص بنسيج الفكر و الخيال، ضمن اطار الحكايات المتجاوز للعقل الموضوعي التي تعود الى قديم الزمان الخيالي الغير محدود، و المتعلق بأحداث جرى في الماضي البعيد، بأسلوب أدبي مجازي، و "لا تشير في جوهرها الى زمن جرى فيه الحدث و انتهى، بل الى حقيقة أزلية من خلال حدث جرى، و ذات موضوعات شمولية كبرى كالخالق و التكوين و اصول الأشياء و الموت و العالم الآخر، و يكون محورها الآلهة و انصاف الالهة" (Majidi, gods incense, 1998, p. 27)، و يكون مقدسا و مصدقا و ذا سلطة عالية على الإيمان و العقول و وعي الناس في حضارتها، و احيانا تظهر فيها شخصيات اخرى كالإنسان بدوره التكميلي أو أبطال من الخيال و كائنات ذات قوة ميتافيزيقية خارقة بموضوعات و تفسيرات بعيدة عن الواقع الحقيقي كمواضيع خرافية و اسطورية. أو "تروي تاريخاً مقدساً، تروي حدثاً جرى في الزمن البدئي، الذي هو زمن البدايات، بعبارة اخرى الأسطورة تحكي لنا كيفية مجيء حقيقة ما الى الوجود، بفضل مآثر اجترحتها الكائنات العليا" (Mercia, 1991, p. 21)، و أصبحت جنساً من أجناس الأدب الثقافي الرفيع للشعوب القديمة، و تراثاً فكرياً انسانياً شعبياً مزينة بذاكرة جماعية و ذات كاتب و مؤلف مجهول، و تكون موضوعاً اعتقادياً تحمل دالات وظيفية و رمزية و مفاهيمية التي تعبر عن التفكير الإنساني اللامنطقي بجذور الاعتقادات البدائية، و تصوير صورة الحياة و البشر و علاقتهم بتفسير اصل الكون من اجل اللجوء الى الأطمئنان النفسي و العقيدي، و علاجاً لأشكالية الفهم فردياً أو جماعياً، بذلك اخذت الأسطورة الانشاء المباشر لتجميع الفكر و الخيال ضمن قصة أو حكاية ذات صورة دراماتيكية غير منطقية التي تتضمن تفسير و رأي أو الأيدولوجية البشرية و الشعوب البدائية، و "الاكثر من ذلك ان الأساطير أو الميثولوجيا الخاصة بالجماعات أو المجتمعات تعكس بناء حياتها الاجتماعية و علاقة هذا البناء بعالم الالهة و القوى الغيبية" (Al-Nouri, 1981, p. 103)، و تصف بقوة الآلهة و قوة ماورائية الغيبية، من اجل فهم الحياة و خليقتها و ظواهرها التي تتمثل بأجناس متنوعة حسب نوع الأسطورة و رموزها و مفهومها و موضوعها، كالأساطير الأصل و الخلق و الحياة الأولى، و الظواهر الطبيعية، و أساطير الالهة، و الحيوانات و النباتات و الأساطير الدينية و الطقوسية و العبادية... الخ، "وعادة ما نجد في الأساطير مشاعر إنسانية جياشة أو أحاسيس، وتصورات ومواقف، تطلعنا على فلسفة الإنسان في الوجود، وعلى محاولات فكرية أولية،.. وعليه فنحن نرى الأسطورة تسجيلًا للوعي الإنساني واللاوعي في آن وأحد" (Qimni, 1999, pp. 25-26)، و الخيال و المتخيلة التعبيرية و الرمزية معاً.

و جدير بالذكر ترجع اسباب ظهور الأسطورة الى عدم فهم الإنسان القديم عن ذاته و حياته و بيئته و طبيعته و فضائه و كونه، و أدى البحث عن التعليل و السببية بجدلية الذات و صيرورتها، الى الإستنتاج الخيالي لإنشاء قصص سببية وحل اللغز المخفي لديه، كظهور الحياة و الوجود و الموجودات الكونيه و البيئية و ظواهرها، التي شغلت سايكولوجية الإنسان القديم، ساعدت على دفعه الى ان يلجأ الى خياله الابداعي و ينتج منه القوى العظمى بأسم الإله، ليحمل عليه مسؤلية الخلق و التكوين و الاظهار، من أجل

تفسيرها و شرحها اذ كانت كونية أو طبيعية. و اخيراً أصبحت جزءاً من الأدب و الثقافة الفكرية لتراث الحضارة، حيث إعتقدوا بأنها صحيحة و خارقة، بتحويل الواقع المرئي الى تفسير خيالي في قصة مصدقة.

و يقسم الباحثون الأساطير الى ثلاثة اصناف فالأول "تروي تكوين العالم و ولادة الالهة، وهي وحدها جديرة فعلاً بتسمية الأساطير، و يأتي الثاني (الأدوار) الميثولوجية أو الخرافية التي تختص بالآلهة و الأبطال، وهي مجموعات من الفصول و الحكايات، تعتمد في وحدتها على شخصية البطل أو الآله الذي تدور حوله... و يعرف الباحثون النمط الثالث من هذه الخرافات بالقصة وهي مرتبطة بمكان معين، و ليس لها معنى كوني أو رمزي، و تتطابق وحدتها مع وحدة الحبكة في العمل الأدبي" (Shabo, 2006, p. 58)، أو الملحمي كما في ملحمة جلجامش الرافدينية و ملحمة الأليادة و الأوديسا الأغريقية.

و للأسطورة أنواع و مميزات، و تنوع في التعاريف حسب وجهات النظر المنهجي و تفسيراتها و تحليلها، و من أنواعها تكون حسب الموضوع و هدف الأسطورة، و التي تبدأ بأساطير النشوء فمثلا نشوء بداية الكون، أو أساطير الخلق و التكوين، أو بمعنى آخر تنقسم أساطير التكوين الى ثلاثة أنواع، الأول أساطير خلق الالهة، و خلق الكون و تكوين أجزائه، و خلق النباتات و الحيوانات، و الإنسان. و أساطير ظواهر الطبيعة، ثم الأساطير السحرية و الدينية و أساطير الطقوس و العبادات، و لكل ما ترتبط بحياة الإنسان خصصت لها أسطورة خاصة كالأساطير الصحية و الجنسية و العاطفية و الأجتماعية، و أساطير الزراعة و العدالة و الفنون، و التعليمية و الوعظية و أساطير الأبطال... الخ، و جدير بالذكر لكل هذه الأساطير منحى تقودها إلالهة أو إله خاص به و المسمى بأسم نوعية الوظيفة و العمل.

و من مميزاتها و خصوصياتها، هي توثيق حضاري، و من الظواهر البشرية، و مجهول المؤلف، و لا تنتمي الى زمان و مكان معين، و تتميز بالسرد القصصي، و تلعب الآلهة و اسلافها الأدوار الرئيسية فيها، و لها سرد تسلسلي خصوصاً في أقاصيص الخلق الأول، و تتميز ببنية ثقافية روحية شعبية و تراثية، و تواصلية الفكرة المشتركة بين شعب و آخر أو حضارة و اخرى، التي يدور حول موضوعات الالهة الخارقة القوة في الخلق و نشأة الكون و الإنسان، و بذلك يمكن القول بأن خصوصيات الأسطورة تتكون بشكل عام في "(أولاً) من رواية افعال قامت بها كائنات عليا، و ان هذه الرواية تشكل (ثانياً) قصة حقيقية باطلاق (لانها تتعلق بحقائق) و هي قصة مقدسة (لانها من عمل كائنات عليا)، و الأسطورة (ثالثاً) تتعلق دائما بـ(خلق) شيء جديد، فهي تحكي لنا كيف جاء شيء ما الى الوجود، ان هذا (الخلق) لهو السبب الذي من اجله تكون الأساطير النموذج المثالي لكل فعل بشري محمل بالمعنى، (رابعاً) فانما نعرف (اصل) الاشياء، و (خامساً) تعاش على نحو أو آخر، بالمعنى الذي فهمته القدرة المقدسة المجيدة التي اتصفت بها الحوادث" (Mercia, 1991, p. 21)، و لها أبعاد مختلفة، و التي تختلف عن القصص الشعبية من حيث سماتها و مضامينها الفكرية، و تمتلك أبعاد عمقية في الصياغة التسلسلية في عملية الخلق و توزيع الأدوار، بقوة فكرية مجازية غير مرئية تحت اسم القوة الآلوهية، و تمثل في البعد الفكري الإنساني الذي يجسد الصورة المتخيلة حول إحلال أشكالية الفهم عن العالم و الكون و الإنسان، و لها أبعاد رمزية و تفسيرية و تعليمية و وظيفية و الخوف و السايكولوجية و جمالية الخيال و الفكرة. و تعد بأنها نصوص دينية و أدبية و ملحمية و قصصية، تصاغ أدوارها الرئيسية بآلهة و آلهات ذات الأحكام و القرارات المصيرية حول الخلق و الاظهار و الكون و حياة الدنيا البشرية، اما أهم

من ذلك فهي من صنع الخيال الإنساني ذاته بدون ان تعطى ادواراً اساسيا لذاتها، فتعتبر كالنصوص الدينية الأولى المصنعة من قبل الإنسان التي ترتبط بانظمة دينية و اظهار المعتقدات حول ترابطية الفكر الأسطوري و الديني، و يعمل على توضيح معتقداته، و تتمتع بقدسية و سلطة مؤثرة على عقولهم.

تعددت موضوع الأسطورة حسب الغاية التي نشأت من أجلها، وهذه تنعكس في مضمونها الوظيفي، لان "كل الأساطير لا تشير الى موضوع وأحد، أو تقصد هدفاً وأحداً، و على الرغم من اختلاف موطن الأساطير و ازمنتها، الا انه يمكن تصنيفها حسب موضوعها و غرضها و وظيفتها الاساسية بغض النظر عن مصدرها" (Department of Studies and Research, 2009, p. 50)، و استنادا الى المواضيع الظاهرة في الأساطير، يمكن ان نصنف نوعية الأساطير الى مجموعات مختلفة، وهي أساطير ذات مواضيع كونية في الخلق و التكوين و الالهة، و أساطير دينية و طقوسية و سحرية، و أساطير متعلقة بالطبيعة و ظواهرها، و أساطير وعظية، و تعليمية، و تأريخية، و أنواع أخرى متعلقة بمظاهر الحياة و شؤونها المتنوعة، و أساطير في البطولة و الموت و الخلود، بشكل عام نجد موضوع الخلق في اكثرية مواضيع الأساطير، خصوصاً ان كل ما يتعلق بالمواضيع الكونية و خليقتها مع ظواهرها الأخرى، تسمى أساطير الخلق و التكوين و الالهة و جميع الحوادث البدئية، و بجانبها خلق الكائنات الأخرى كالإنسان و النباتات و الحيوانات، تدور مواضيعها حول الآلية الخليقة و بدايتها في الأظهار، و حتى تلك المواضيع التي تدور حول مواضيع الطبيعة و ظواهرها، و نجد علاقات وثيقة بينهم و بين الأساطير و مواضيعها الدينية و الطقوسية و السحر...الخ، خصوصا في "المجتمعات البدائية، قد اثارت اهتمام بعض الباحثين و في مقدمتهم (فوندت و دوركايم و موسى و كراولي)، فقد لاحظ هؤلاء الترابط القوي القائم بين الأسطورة و الطقوس الدينية و بين العرف المقدس و البناء الاجتماعي" (Al-Nouri, 1981, p. 103)، و الطقوس الدينية و السحرية، لان هذه العلاقة بين الأسطورة و الدين و الطقس و السحر، علاقة متداخلة مبنى على الاعتقاد المشترك و العناصر المشتركة، لان لكل منهما دور في الوصول الى غاية الوظيفة الاسطورية أو الدينية أو السحرية التي نجدها في القوة الخارقة و الايمان الديني و الافعال الطقوسية، و مصحوبة بمعرفة باطنية ذات قوة إيمانية و سحرية، و لان "النزعة الروحية و الغيبية و الميتافيزيقية بشكل عام هي التي تجمع السحر و الأسطورة و الدين" (Majidi, gods incense, 1998, p. 27)، في مواضيع ذات صلة بالاخرى و مكونات مشتركة، مع وجود فروقات صغيرة بينهما. و ترتبط تلك المواضيع بشكل من أشكال بمواضيع الأسطورة الوعظية التي تتوظف في تقوية العلاقة بين الإنسان و الاله و الالتزام بتقاليده الدينية، و تشكل علاقات طقوسية معهما في أساطير الطقس التي تمثل التعبير الكلامي و الانفعال الحركي من اجل اجراء غاية سحرية أو طقس عبادي ديني.

المبحث الثاني: الأدب الأسطوري:

و يعد الأدب من ارفع وسائل التعبير اللغوي، عن الشعور و الفكر و الخيال الإنساني نطقاً و كتابةً، و العمل الأدبي عبارة عن نص مكتوب مستمد من الخيال أو من الواقع أو كلاهما، و يمكن ان يكون نثراً أو شعراً أو قصة دراماتيكية أو روائية، أو حكاية خرافية، رمزية و غيرها....، و هو أحد أشكال التعبير عن حياة الشعوب و الحضارات القديمة، الذي ينعكس كمرآة لحياتهم الصادقة، و حالاتهم الاجتماعية و الدينية، و العقائدية و السايكولوجية... و يعتبر من أحد آليات الجمع و التوظيف و التحليل و التركيب بتنسيق فكري،

و كرسالة تنعكس ضمن دلالات الفكر الجماعي و الأسطوري و الديني و الحياة الاجتماعية و الثقافية، و يتفرع الى انواع كالنثر و القصص و الحكايات و الشعر و الأدب الملحمي و الدرامي و أدب الحكمة، كما يرتبط باللغة و الكلمات و التعابير ذات الشكل و المضمون الأدبي، و له اسلوبه الصياغي و آلية التعبير و التنسيق و التسلسل السردي، و ارتبط الأدب بالأسطورة عندما اصبحت من مرتكزاته التوظيفية بصياغة أدبية بتوفير عناصره المستنتج منها، من حيث التسلسل و السرد الموضوعي و الحبكة و الشخصيات و الأبطال والأفكار و الخيال و الصور و الأسلوب و المعنى.

و يمكن القول استناداً على آراء الباحثين و التنقيب الآثاري، من بينهم المؤرخ (طه باقر) بأن أدب بلاد وادي الرافدين يعد من اقدم الأدبيات في التأريخ الإنساني القديم رغم ان معظم الألواح المدونة السومرية و البابلية لا يتجاوز عمرها بداية الألف الثاني ق.م، بذلك يؤكد بأنها من اقدم الأدبيات من حيث التأليف و التدوين، و خصوصاً إظهارها في التأليف الشفوي بحدود منتصف الألف الثالث قبل الميلاد، و المدون بحدود منتصف الالف الثاني قبل الميلاد، كما انضج في تدوين أقدم نصوص الأدب الأسطوري السومري، على الألواح الطينية الأولى في حدود (2400 ق.م)، و بذلك تكون "أولى المحاولات في تاريخ الإنسانية للتعبير عن الحياة و قيمها و معانيها باسلوب الفن الأدبي... و على الرغم من ان الزمن الذي دونت فيه أشهر النصوص الأدبية في حضارة وادي الرافدين لا يتجاوز أواخر الألف الثالث و أوائل الألف الثاني ق.م، الا ان تلك النصوص الأدبية قد تم ابداعها و انتاجها في ازمان اقدم من عهد تدوينها، وقد تناقلها الأجيال المتعاقبة عبر الروايات الشفهية" (Baqer, 2010, pp. 91-93-94)، بذلك يظهر بان للأدب العراقي القديم، جذور شفوية تداولية بين اجياله، الذي يمثل بنية ثقافية و فكرية جماعية ذات الوعي الأدبي، بحيث يرجع أول ابداع أدبي الى اقدم نصين سومريين، وهما (ترنيمة معبد كيش) حول خلق الرجل و المرأة و (تعاليم شروباك) وهي عبارة عن وصايا و تعاليم (شروباك) الملك لأبنه (زيوسيدرا)، بطل ملحمة الطوفان، و كلكامش، كأقدم قصص ملحمية مدونة في التاريخ، و يرجع عمرها الى حوالي (2600- 2500 ق.م).

و يمكن ان نحدد المميزات العامة للأدب الرافديني، بأنه أدب أصيل يتميز بعدم التحوير و التبديل و الإضافة، و تميز بكثرة النسخ، و إبراز اللغة المكتوبة باللغتين السومرية والأكدية، وهناك تأثيراتهما الأسطورية و اللغوية و الإصلاحية على بعضهما البعض، و على الأدبيات البابلية و الأشورية ايضاً، و التي تتميز بجوانب من التنظيم المقطعي و الموازنة الشعرية و التكرار دلالياً و لفظياً في المقاطع و الكلمات، حيث تؤسس على بناء التوظيف الإيقاعي و الجمالي خصوصاً في نصوصهم الشعرية و النثرية، و تميز الأدب الرافديني بتنوعه الأدبي، كالأدب الروائي في (جلجامش و أجا)، و الروائي الملحمي في (جلجامش و انكيدو و العالم السفلي) و الروائي الأسطوري في (نزول انانا الى العالم السفلي)، و التراتيل في (ترتيلة تمجيد الالهة نانشة) و أدب المناظرة و الحوار في (الماشية و الغلة) و الأدب التعليمي في (نصائح فلاح الى ابنه)، و حيث يتميز بتحديد أهمية دور الحياة و قيمة الإنسان المعرفي بوعي ميتافيقي أدبي، بجانب تمجيد دور الالهة، كما "قامت الآداب السومرية، في معظمها على نوع من الفكر التأملي المتأسس على إدراك حدسي اقرب إلى الرؤيا. فعوضا عن إتباع النطق العقلي القائم على الاستقرار و التحليل و الإستنباط و الإستنتاج، و سماتها الذهنية السومرية، كما تعبر عن ذاتها في الأدب، بدورانها في فلك القيم الروحانية كونها القيم الطاغية في الفكر الاجتماعي" (Hassan, p. 4-5)،

و بين الأسطورة و الأدب، علاقة مترابطة، لأن الأسطورة اصبحت جزءاً من مادته الأدبية، و الأدب هو اللغة النطقية تعد من اقدم وسائل المعرفة و التواصل و التحليل، و رمزاً فكرياً في صياغتها و تصويرها الشفوي و اللغوي و الكتابي و الشكلي، بعلاقات متداخلة بين العناصر المؤسسة في هذه الصياغة كالفهم الخيالي، بدافع التفكير و الدافع العقلي و التأويلي و القدرة الذهنية و التعبير الرمزي، و ان إظهار هذه اللغة في الشكل و المضمون و الأدبيات بدأ منذ ان ظهر الإنسان مع تجاربه في التعبير الأسطوري و الأدبي و الفني البصري، و تصادمه مع بيئته و ظواهره الكونية و كوارثه الطبيعية غير المفهومة، و ان الإدراك اللغوي "هي اداة الإنسان الأول للعقل، تعكس الميل الى صنع الأسطورة اكثر منه الى العقلنة و التفكير العقلي، فاللغة التي هي ترميز للفكر... تعبر عن نفسها في شكلين مختلفين، أحداهما الخيال الإبداعي" (Cassirer, 2009, p. 10)، الأسطوري، و الثاني الخيال الإبداعي الأدبي، المسمى بالأدب الأسطوري الذي يبدأ من الأدب الشفوي السردي ثم الكتابي بعد ابداع التدوين، و اظهاره في المتخيل الفني، بعملية التصور و التصوير بقوة الذهن و الذكاء و تكون دائما غايتها التعبير الرمزي و تجسيدها من خلال الإبداع الأدبي و الفني، و مروره بتلك المراحل التي تشكل الفكر و التفكير و التخيل و التفسير بأشكالياتهم المتعددة كالفهم و آلية التعبير و التوظيف و الإيمان و التقديس، ثم الشكلنة الفنية بغرض التفعيل العلاقاتي و الوظيفي بينها و بين العبادة و الطقوس الدينية و السحرية و التي اصبحت جزءاً هاماً من ممارساتهم الحياتية و أدبياتهم الفكرية، و اظهار العلاقات المتخيلة بين ماهو موجود في المخيلة الأدبية من جانب و الميتافيزقيا من جانب آخر، و ما يتجسد مادياً المتوظفة موضوعاتها في الأدب الشفوي و العملية الفنية.

و ان مرجعية العلاقة بين الأدب الفكري و الأسطورة و الفن، تعود الى زمن الكهوف، خصوصاً عندما نرجع الى المفاهيم السحرية أو (أدب السحر) في رسوم الكهوف، و بعد إظهار مفهوم الأساطير و دورها، التي ترتبط بالدين و الطقوس العبادية و السحرية و الحياة الأجتماعية، و الأعمال الفنية، المعبرة عن تلك الحالات و العلاقات، بذلك اصبح الفن اداة لتجسيد الشكل و المضمون لهذه الارتباطات المتداخلة، و لم يتوقف الفكر الأسطوري الأدبي في نطاق النطق الشفوي و السردي و التصوير الفكري، أو الكتابي، بل تحول الى الشكلنة من خلال الأعمال الفنية بمضمونها الأسطوري و الخيالي و الرمزي و المعرفي و الاعتقادي و الاجتماعي، و "على هذا النحو نرى العلاقة التبادلية أو الديناميكية بين الأساطير و العقائد و الفنون، تبرز و كأنها تتعاون معاً على ان تربط الشعوب الغابرة بحياة تجمع بين الحق و الجمال، و كان طبيعة الفنون هي ايصال الحقائق الروحية" (Zaki, 2000, p. 128)، أو نشاطا أدبيا تشكيليا تبرز قدسية العلاقة بينها و بين الأسطورة و الدين، بتجسيد الفكر الأسطوري و مضمونه و بقائه المادي المرئي بدلاً للامرئية الفكر الأسطوري من خلال الخامات المتنوعة كالطين و العظام و الاحجار و الصخور و الألوان و تزين السطوح للأشياء كالأواني الفخارية و الجداريات و النقوش الأخرى.

إن لحضارة وادي الرافدين موروث اسطوري و أدبي و ثقافي و فكري و فني، تمثلت في نتاجات أدبية ذات مواضيع إعتقادية دينية و طقوسية و أجتماعية و احوال بيئية و ظواهر كونية و طبيعية، و المنسجة بالفكر الأسطوري فضلاً عن عادات و تقاليد و ثقافات شعبية تجسدت في الحياة الأجتماعية، التي صاغت ضمن نصوص أدبية، من جهة، حيث تحولت الى أعمال تشكيلية من جهة آخرى، بشتى أنواعها و أشكالها اذ

كانت من الأعمال النحتية أو الفخارية و جداريات أو اعمال نذرية أو عبادية، لقد استنتجت بعوامل قوة الأعتقاد و تحولت الى مجال تأسيسي لحضارة فنية وهو دائرة الفن البصري، بشكلنة تلك الأفكار و الأعتقادات و الأساطير، و بذلك يمكن ان نقسم الأدب الرافيديني الى ثلاث أنواع، هو الأدب الأسطوري، و الأدب الديني، و الأدب الدنيوي.

المبحث الثالث: فكرة الماء و الأدب الأسطوري:

الماء بصفته أحد المكونات الأساسية للبيئة و الحياة و من ظواهرها الطبيعية، و تعد علاقته مع البيئة و الأرض و الإنسان، علاقة حضورية أزلية و نموية و ازدهارية، بصفته وجود كوني و رمزي و تعبيري، فضلاً عن دوره و تأثيراته اللامتناهية على الحياة الإجتماعية و الروحية و الفكرية و الدينية للإنسان منذ الازل، وهو رمز و سر للحياة و دافع أساسي في إستقرار الإنسان البدائي قرب الأنهار، و له حضور علاقاتي حافظ على سر الوجود و يملك الماء خاصية سحرية احس بها الإنسان منذ قديم الزمان، و له علاقات ازلية واسعة و مستمرة و عامل أساسي في تكوين الحضارات الإنسانية و في التواصل مع بعضها البعض، و بذلك اصبح مادة اسطورية و أدبية و فنية.

و الماء كدال اسطوري يرمز الى بعض المدلولات، منها دلالة الحياة عندما يظهر كعنصر بدائي في شكل المحيط الازلي، "(فقد تحدث الميزوبوتاميون بخصوص الماء الى ابعد من ذلك و هو اصل الكون، و بالنسبة للمصريين انبثق العالم من الماء الى الخليقة ايضاً)" (Syring, 2009, pp. 353-354)، و دلالة التطهير قبل تنفيذ مناسبات طقوسية، فمثلاً كان الكاهن الميزوبوتامي و المصري قاموا بغسل اجسادهم من الذنوب للتطهر، و حتى انهم كانوا يغتسلون التماثيل و المعبودات به، حيث اعد الاغريق حمامات خاصة مقدسة للتماثيل و الربات، و منها كـ "حمام (افروديت) في ياخوس، و حمام (اثينا) الذي تغنى به كاليماك، هذه الطقوس طبقت بصورة خاصة بالنسبة للربات الكبرى، سيبيل بصورة خاصة، اضافة الى ذلك مع امل الحصول على المطر و على خصوبة سعيدة" (Syring, 2009, pp. 353-354). و يكون رمزا لدلالة الأحياء و الخصوبة و وجد احياء الأرض و تجديد الفيضانات السنوية خصوصاً في حضارتي وادي الرافدين و النيل. و تنعكس أهمية الماء و دلالاته في النصوص الأسطورية، بعلاقاته الفكرية و التوظيفية، و بدافع الأعتقاد الإنساني حول تقديس الماء و اثره في العبادة و سره المنبعي السمائي المرئي (الأمطار) للتخصيب، أو غير المرئي (الفكري)، أصبح عنصراً اسطورياً و لغزاً ثقافياً و حمل قدسية خاصة لوجوده الكوني، و يبدو إن علاقة الماء و الإنسان ضرورة مادية و فكرية و روحية و دينية ايضاً، و أدى ذلك الى إظهار أهمية و دوره في حياة الإنسان القديم منذ ماقبل التاريخ و تداوليته الى الحضارات الظاهرة في ما بعده، خصوصا في توظيفه التقديسي و الديني و التعميد و العبادة.

لقد بدأ موضوع الأسطورة مع الإنسان منذ الزمن القديم بدافع التفكير الإنساني نحو بيئته و كل في ما حوله عندما يفكر بأنه يحتاج الى التفسير خصوصاً في الكون و الخلق و الأرض و السماء و الظواهر المتنوعة من الطبيعة، حينما كان خاضعاً لها، و ولدت من خلال كل هذه الدوافع قصص تفسيرية من نسيج الفكر بقوة المخيلة حول عملية و كيفية و اظهار الخليقة الأولى و ظواهرها، لقد تشكل تلك القصص و الحكايات من مجموعة العناصر الأولية و الأساسية مثلما نجد الماء عنصراً أساسياً في كل من الأساطير

القديمة كعنصر أزلي لعملية الخلق، و ولدت عنده قصص متنوعة و منها ارتبطت بأعتقاده الديني و البحث عن الخالق و كيفية الخليقة و خلق الكون و السماء و الأرض و الطبيعة و ظواهرها الأخرى، و ما اتصل تلك القصص بفكرية التقديس و العبادة و تشكيل الطقوس من أجلهم و لأجلهم و اعتقادهم التام بصحة و صدق في تفسيرهم الذاتي للتوليد، و منها المتصلة بحياتهم الأجتماعية و الدينية، و من اجل الحصول على الرضى و طمأنينة القلوب أو تقديس و ابتعاد الخوف عن انفسهم.

حيث هناك نص اسطوري ضمن قصيدة سومرية يتألف من (278) سطراً، حول ارتباط الماء بالفردوس و الالهة دون البشر، كما جاء في النص بأن "بلاد دلمون أرض طاهرة و مشرقة، و كانت لا تعرف المرض و الموت، و لكن ينقصها الماء العذب اللازم لحياة الحيوان و النباتات، و لذلك نجد إله الماء السومري (انكي) يأمر (أوتو)، اله الشمس، ان يملأها بمياه العذبة النابعة من الأرض، و هكذا تحولت دلمون الى حديقة إلهية خضراء، و في هذا الفردوس الالهي جعلت الآلهة (ننخرساج) ثمانية انواع من النباتات تنمو و تزدهر، و لم تفلح في ان تظهر هذه النباتات الى الوجود الا بعد عملية معقدة شملت ثلاثة اجيال من الالهات ولدن كلهن من إله الماء" (Kramer, p. 251)، حيث شكل (الماء) عنصراً و رمزاً اسطورياً لحياة الفردوس وخلق الالهة منها، خصوصاً في الأساطير الدينية و الخلق، بصفته رمز انبعاثي و ظاهرة كونية من جانب و من الظواهر الطبيعية من جانب اخر، بذلك اصبح (الماء) من العناصر المهمة في الحياة و التفكير، و عاملاً لخصوبة الأرض و الزراعة و النمو، فربطه بالفكر الإنساني بقوة خارقة مخفية لامرئية أزلية الوجود، التى تفوق على قوة الإنسان و إرادتهم، فيتمثل هذه القوة في فكرة الالهة المقدسة الخالدة و اصبح (الماء) موطناً لها بأعتباره مبعثها و منبعها، و تبلور في الطقوس و العبادات، ثم اصبح (الماء) مباركة و مقدسة و عنصراً تكوينياً في عملية الخلق و الأساطير و اساساً للحياة الكوني و الأرضي، و الزراعي، و الحضاري، و الأستقرار.

و تتعدد أساطير الخلق حول العالم و الكون بين الشعوب و الحضارات القدامى، و تختلف بأختلاف توظيفية حسب عواملهم البيئية و الأجتماعية و الأعتقادية من جانب، و حسب خصوصية و قوة الفهم و آلية التوظيف الفكري من جانب آخر، إن الماء أصبح عنصراً فكرياً اسطورياً مشتركاً، و خصوصاً في أساطير الخلق، بشكل كان هناك إتفاق لاشعوري حول (الماء) كمبدأ و عامل أساسي للوجود، بدون ان تذكر أو ترجع الى كيفية خلق و إظهار الماء و مرجعيته، بذلك حمل الصفة الكونية كمحيطها الازلي، و أصبح مقدساً لدى الشعوب القديمة من تراثهم الديني و الأجتماعي و الأسطوري عبر التاريخ، بشكل حتى لو رجعنا الى ماقبل التاريخ نجد ربط ممارسات طقوس القداسة و السحر، و كما نرى في عصر (الحجري القديم) يرتبط الماء كعنصر بعالم رحم المرأة و كتعاويذ معبرة عن "حياة الماء الأولى و عن سوائل الرحم و مادته... اما في عصر (الحجري الوسيط) يرتبط بسحر و تسخير الأرواح لأعمال كثيرة كالصيد و استنزال الامطار لزيادة القوة الرجولية... و كما يرتبط في عصر (الحجري الحديث) بطقس هبوط المطر، من خلال العرض السحري النسائي على شكل رقصة دائرية مع حركة شعرهما نحو الجهات الأربعة لتحريك الهواء لجلب الغيوم و الغبار فتمطر السماء عن طريق شعر المرأه الخصيب"، و نجد هذا النوع من الطقوس السحرية المرتبطة بإنزال الامطار في اكتشافات آثارية في حضارة سامراء على لوحة حجرية ترجع

تاريخها الى الألف السادس قبل الميلاد، تمثلت في تشكيل العرض السحري النسائي الأربعة مع ثماني عقارب حولهم "وقد سمي هذا الطقس لاحقا بالسومرية (آكيتي) وهي عيد رأس السنة البابلي، و ان علامة (آ) تعني الماء و مجازاً المطر، و (كي) تعني الأرض، و (تي) فعل بمعنى يقرب، و معنى الكلمة كاملاً تقريب الماء الى الأرض" (Majidi, Prehistoric religions and beliefs, 1997, p. 105)، و يتواجد في هذه المشاهد بعضاً من الفخاريات العراقية القديمة لنفس الغرض ذاته. و من الرموز الطقوسية الأخرى التي تدل على الأمطار هي مفردة السمكة كما نجدها في فخاريات حضارة العراق ماقبل التاريخ. و يعتقد السومريون بأن الماء هو أصل الوجود و الحياة، و يظنون بأنهم خرجوا منها، كما ذكروا في أسطورة نشأة الكون لدى السومريين وهما "(آن إله السماء، و كي إله الماء، و انليل إله الهواء، و كي اله الأرض)"، و هناك عدد لآلهة المياه لدى السومريين حسب نوعية الماء و الوظيفة، و من بينها "دموزى ابسو: إله المياه العميقة، إله انثى، ترتبط بإله المحيطات العذبة، و ابيللو: وهو إله المياه و الحقول و معني بالأقنية و السدود، و سيرار: هو إله الخليج، و ايسمود: وهو إله اسيمو ذو الوجهين و وزير الاله انكي، و نندارا: وهو جابي البحر.."، و يرتبط خلق الإنسان في الأساطير السومرية بالآله انكي إله المياه ايضاً، (للمزيد: انظر الأسطورة في الأساطير السومرية، ص194)، و نجد أيضا في أسطورة الخلق السومري أن البداية كانت "((مع الأله (نمو) المياه الأولى أو مياه الأزل لا شيء معها فكانت مياه الخلق التي إنبثق عنها كل شيء فقامت بخلق (أن) الذكر إله السماء و (كي) الإنثى ومن تزاوجهما كان الإله إنليل الذي فصلهما عن بعضهما فدفع الأرض للأسفل والسماء للأعلى))"،(للمزيد:انظر نص الأسطورة في الأساطير السومرية، ص96-97). و نجد التوظيف التسلسلي في الفكر السومري الأسطوري عن موضوع الخلق و الكون بأفكار ناضجة و انعكاساتها على نوع من الأنشاء ذات رموز أسطورية، حتى ان تصل الى ظهور النباتات و الحيوان و خلق الإنسان و كما في التالي:

1-"في البدء كانت الآله (نمو) لا أحد معها، وهي المياه الأولى التي إنبثق عنها كل شيء".

2-"انجبت الاله نمو ولدا و بنتاً، الأول (آن) اله السماء المذكر، و الثانى (كي) إله الأرض المؤنث و كانا ملتصقين مع بعضهما و غير مفصلين عن امهما نمو".

3-"ثم تن (آن) تزوج (كي) فانجبا بكرهما (انليل) اله الهواء الذي كان بينهما في مساحة ضيقة لا تسمح له بالحركة".

4-"(انليل) الاله الشاب النشيط، لم يطق ذلك السجن، فقام بقوته الخارقة بإبعاد أبيه (آن) عن أمه (كي)، رفع الأول فصار سماء، و بسط الثانية فصارت ارضاً، و مضى يرتفع بينهما".

5-"و لكن (انليل) كان يعيش في ظلام دامس، فانجب (انليل) ابنه (نانا) اله القمر، فيبدد الظلام في السماء و ينير الأرض".

6-"(نانا) إله القمر انجب بعد ذلك (أوتو) إله الشمس الذي برزه في الضياء".

7-"بعد ان أبعدت السماء عن الأرض، و صدر ضوء القمر الخافتة و ضوء الشمس الدافىء، قام انليل مع بقية الالهة بخلق الحياة الأخرى" (Al-Sawah, 2002, p. 154).

مجلة الأكاديمي-العدد 103-السنة 2022 ISSN(Online) 2523-2029, ISSN(Print) 1819-5229

و نجد في الأساطير السومرية و البابلية تداول الماء كوجود أولي، وهو يوجد قبل الأرض و السماء بعد مادة الخلق الأول، و تشكل أصل الكون وهو يوجد على شكل ماء عذب إسمه بـ(إله ابسو) و الماء المالح المسماة (إله تيامت)، و تعرف الأسطورة "بعنوانها البابلي –حينما في العلى- و باللغة البابلية –اينما ايلش-:

"حينما في العلى لم ينبأ عن السماء (لم تسلم باسم)"

"وفي الدنى (الأسفل) لم تذكر الأرض بإسم"

"وحين كانت مياه (ابسو) الموجود الأول" والدهم"

"و الأم (تيامة) والدة جميعهم" وأحدة مختلطة"

"ولم يكن قد وجد اي مرعى و لا يرى أي شيء حتى هور قصب"

"حينما لم يظهر الى الوجود أي من الالهة"

"ولم تذكر اسماؤهم، و لا خصصت وظائفهم و اقدارهم"

"ثم وجد الالهة في وسطهما (وسط ابسو و تيامة)" (Baqer, 2010, pp. 91-93-94)..... الخ

ان أساطير الخلق في وادي الرافدين، تنقسم الى ثلاث انماط، هي (خلق الالهة و خلق الكون و خلق البشر)، و يبدأ كل شيء من البحر الأزلي الأول، و حتى نتج الكون عن المادة الأولى (الهيولي) "الذي كان غير مميز الى سماء و أرض، ثم ظهر الهواء الذي فصل بين الأرض و السماء، و نتج عن ذلك ايضاً ظهور المياه على الأرض بإعتبارها المادة الذكورية السماوية. و بذلك ظهرت العناصر الأربعة (الهواء، النار، الماء، و التراب) من السماء و الأرض" (Majidi, Sumer text, 1998, p. 163)، وكما جاء في الأسطورة السومرية للخلق بإن (نمو أو نامو) هي الملقب بآله الأم الأولى لإنها ولدت السماء (آنو)، و الأرض (كي)، التي ولدت الكون و جميع الالهة.

و يرتبط المياه بأساطير الدمار و تدمير الحياة أيضاً، حيث كانت الآلهة تعاقب البشر، كالأساطير و الروايات والقصص الأدبية حول الطوفان، كما عند سومر و بابل، و بلاد الاغريق و الشام و النصوص التوراتية، جدير بالذكر أن المؤسس الأسطوري الحقيقي للطوفان هو السومريون، و عموماً فإن قصة الطوفان عبارة عن فيضان مدمر للحياة بقرار إلهي، و يرتبط بفلسفة الدمار و الأحياء و النجاة ثانية، و الخلود، و للأبطال و الملوك المختارة من قبل الآله أدوار رئيسية في حدوثها كما جاء في أحد النصوص بأن (انليل) هو الاله المسؤول الرئيسي عن الطوفان السومري، و اختيار الملك (زيوسودرا) لإنقاذ الحياة، لقد وظفت هذه الأسطورة بشكل واضح في ملحمة جلجامش البابلية، و اختيار رجل بإسم (أوتو نبشتم) من قبل الآلهة كبطل النجاة، و في الأسطورة الاغريقية "ان كبير آلهة الأوليمب (زيوس) قرر تدمير الحياة على الأرض، فأرسل طوفاناً استمر تسعة ايام قضى على الناس اجمعين الا رجلا و امرأة هما (ديكليون) و زوجته (فرحة) طافا بسفينة استقرت بهما على قمة جبل البرناس" (Al-Sawah, 2002, p. 154)، لإعادة الحياة. و حتى في قصة طوفان البابلية كان القرار للاله (انليل) حين عاقبت البشر، كما في السطور المختارة التالية:

"اليك ما ستقوله لهم":

"لقد علمت ان انليل يكرهني"

"وعلى بعد الان الا ابقى في مدينتكم"

"و الا ادير وجهي نحو ارض انليل"

مجلة الأكاديمي-العدد 103-السنة 2022 ISSN(Online) 2523-2029, ISSN(Print) 1819-5229

"سأهبط الى (ابسو) اعيش مع مولاي ايا"

"اما انتم فسينزل عليكم مطر وافر"

"حتى ارسل سيد العاصفة مطرا مدمرا في السماء"

"قلبت وجهي في السماء، كان الجو مرعبا للنظر"

"و الرياح تهب و العاصفة وسيول المطر تطغي على الأرض"

"و مع حلول اليوم السابع، العاصفة و الطوفان"

"خففت من وطأتها و كانت قبل كأنها الجيوش المحاربة"

"واخذ البحر يهدأ و العاصفة تسكن، و الطوفان يتوقف"

"و عندما وصلت الالهة العظيمة (عشتار)"

"رفعت عقدها الكريم الذي صنعه آنو وفق رغباتها و قالت:"

"تقدمو جميعا و قربوا من الذبيحة،"

"الا انليل وحده لن يقترب"

"لانه سبب الطوفان دونما ترو"

"و اسلم شعبي للدمار" (للمزيد ينظر: فراس السواح، مغامرة العقل الأولى، ص162-170)

مؤشرات الاطار النظري للبحث:

1-ترجع بداية الأسطورة الى الحضارات القديمة، كما دونت على شكل أدبيات شعرية أو نثرية، أو ملحمية، بذلك اصبحت جنس من اجناس أدبيات الحضارات القديمة، و ارتبطت بثقافة و وعي و أبداع فكري لتفسير الوجود و ظواهره.

2- للماء مفهوم فلسفي منذ الأزل، بجانبيه المادي الوجودي كوسيلة الحياة و الزراعة و النمو و العمارة، بصفته عنصر مرئي و بين الطبيعة بصفتها أحدى ظواهرها السماوية.

3- و من جانبه الميتافيزقي اصبح الماء أداة للفكر و التفكير كمرجع أولي في اظهار المحيطات السفلية و ولادة فكرة الخليقة، حيث كونت منه فكرة الحياة و الخلق الأولي، و يتميز برمزيته الأدبية و الأسطورية لدى الحضارات القديمة، و كما واضح في حضارات وادي الرافدين.

4-لقد شكل الماء مرجعيات متباينة لتأسيس العلاقة بينه و بين الأسطورة و الأدب و فنون حضارات القديمة، كما بين فنون حضارة وادي الرافدين.

5- بقت من حضارة وادي الرافدين موروث أسطوري و أدبي، يتضمن نتاجات تشكيلية بمواضيع الخليقة و الدينية و الطقوسية و الاجتماعية و البيئية و الكونية و الطبيعية، المتجانسة بالفكر الأسطوري و الأدبي، و الماء من أحد عناصر التأسيسية في هذا الموروث الأدبي الأسطوري و الفني.

6-من أهم المرجعيات الأساسية بين الأدب و الاسطورة، المرجعيات الفكرية (الفردي و الجمعي)، التي ترتبط بإبداعية الخيال الأدبي الأسطوري و الفنون التشكيلية بشكل عام، و كما يظهر في أدبيات الأسطورة الرافدينية، كأولى الظواهر الأدبية التي تجمع بين الحضارات القديمة.

.....

مجلة الأكاديمي-العدد 103-السنة 2022 ISSN(Online) 2523-2029, ISSN(Print) 1819-5229

شكل العينة (1)

اسم المنجز: معاقبة الطائر (آنزو- امدكود)
تاريخ الانجاز: لحوالي سنة 2300 ق م،
الخامة: لوحة طينية- ختم اسطواني
العائدية: متحف البريطاني
من حضارة الأكدية

المسح البصري: نرى في هذا المشهد الدرامي جمع بعض من الآلهة، و ابتداءاً من اليمنى بالآله (اسيمود) وزير و حماية و خادم الآله (انكي)، و في الثاني هو (إنكي) الظاهر بموجات مياه النهرين على اكتافه مع الأسماك داخلها، و هناك ماعز تحت قدميه و هو من رموز و أشكال لأنكي، وهو واقف جانبياً بشكل وضع أحد رجليه على سطح الجبل الموجود تحت اقدامهم جميعاً، اما رفع الآخر على أحدى من الكتل الجبلية الموجودة في وسط المشهد، و الثالث فهو الاله (الشمش- أوتو) الظاهر نصفياً بين تلك الكتلتين الجبلية بشروق حزمة من اشعة الشمس على كتفيه و حامل سيفاً، ثم الرابع الواقف فهو إله (عشتار- انانا) بجناحيها المفتوحة، اما الخامس الواقف فهو الاله (نينورتا- نينجيرسو) المسلح بالقوس و السهم، و يوجد في جنبه قرينه الأسد، و هناك طائر (انزو) الظاهر بإتجاه نحو الأسفل فوق موجة المياه اليسرى على كتف (إنكي).

المرجع الفكري: لمرجعية الفكر الأسطوري و الأدبي و الصراع، اثر تام على هذا المشهد، من حيث جمع بعض من الآلهات الأساسية في بنية الفكر الأدبي الأسطوري الرافديني السومري الأصل، لغرض محاكمة طائر (انزو- طير العاصفة) بهيئة النسر ذي وجه أو رأس الأسد، مقابل سرقة الواح القدر من الاله (انليل)، بعد ان اخذ على عائقة حمايتها قبل سرقها، المستعارة من موضوع الأدب الأسطوري الأكدي بأسماء سومرية، وهو اسطورة الطائر (آنزو) حيث ولادتها من مياه الفيض المقدسة العميقة (لآبسو)، ثم تعينه كحامي لوح (انليل) قبل سرقه، ثم استعادته بسبب اقناعه من قبل (نينورتا)، و اخيراً التجمع الالهي لمعاقبته.

توظيف فكرة الماء: ان للماء توظيف اسطوري كما جاء اثره في النص، بصفته مادة أولية إلهية، بغض النظر عن ذلك، فان طائر (آنزو) هو أحد آلهة العالم الأسفل، من ماء الآلهة و رحم الأرض و مادة الحجر (حسب نص الأسطورة)، وهو من مياه الفيض المقدسة لآله ابسو العذب، و (انكي) إله الماء للمحيطات الأرضية، و هناك توظيف شكلي لعنصر الماء على هيئة نهرين متجارين بروافدها، على اكتاف الآله (انكي) بصفته وهو إله المياه لمحيطات السفلية، حسب مستعاره الأدبي الأسطوري.

آنزو= من قوى العالم الاسفل المدمرة في الأساطير السومرية

انزو= طير العاصفة في الاكدية

آنزو=من ماء الالهة ابسو العذب+رحم الأرض+مادة الحجر، كما جاء في الأسطورة: (يقيناً ان مياه الفيض ولدت انزو، وهي المياه المقدسة لإله العمق ابسو، و ان الأرض الواسعة حبلت به و انه خلق من حجر الجبل).

مجلة الأكاديمي-العدد 103-السنة 2022 ISSN(Online) 2523-2029, ISSN(Print) 1819-5229

انكي= سيد الماء المقدس، و مسؤول عن المحيطات السفلية.

.....

شكل العينة (2)

اسم المنجز: الأمير كوديا يحمل الإناء الفوار

تاريخ المنجز: حوالي 2120 ق.م

الخامة: حجر الديورايت

الابعاد:

العائدية: متحف اللوفر

من حضارة السومرية الحديثة

المسح البصري: ان هذا المنجز النحتي يتكون من شكل لرجل قصير القامة، يدعى الملك كوديا، وهو ثاني ملوك السلالة السومرية الثانية، الذي حكم لكش (2144-2124 ق.م)، و المعروف بالكاهن و الراعي عن الحقيقة، وهو واقف و يمسك بيديه اناء الماء الفوار المنقسم الى تيارين جاريين من الماء مع توزيع الأسماك على جوانب تيارها على جانبي جسمه، و نلاحظ حركة و مجرى تيارات المياه تنتقل الى إناء آخر موجود في أسفل الجسم على جانبيه و يتدفق منه الماء ايضاً، و ان الوجه ذات سمات واقعية و عيون محدقة و فم ملمومة و ذا وجه تأملي و ساكن المعبر بالطاعة إلاهية، وهو ارتدى قطعة قماش عريضة دائرية مزخرفة ملفوفة حول رأسه و التي تظهر كانها كتلة دائرية واحدة، و إبراز عضلات ذراعه في النصف العلوي لجسمه، و يرتدي جلبة رهبانية طويلة مستقيمة و بسيطة الطيات، التي تغطي الجسم بأكمله، من كتفه و زراعه و ساعده اليمنى، وعارية اليسرى مع ثلث اجزاء من صدره، ثم يقف على قدميه الظاهر تحته.

المرجع الفكري: ان مرجعية الفكر في هذا المنجز، ترتبط بفكر قوة صلابة الخامة المفضلة لدى ملك كوديا، و التي ترتبط فكرياً و شكلياً لأبراز قوته و مكانته و شخصيته و قدسيته كملك أو كنبي و كحاكم قوي و راعي الحقيقة و السلام و العدل و بناء المعابد، و ترتبط بجانب الفكر الاسطوري لقدسية و رخاوة الماء كمصدر الحياة و الخلق من جانب، و إظهاره البيئي الطبيعي كرمز لنهرين موجودين ضمن بيئة وادي الرافدين منذ بدايه حضارته من جانب آخر، و حيث نجد تجسيد شخصية الآلهة و قدسيته داخل شخصية الملك المقدس المطيع للآهه، كما ينادي الآلهة (كاتومدوك- ام لكش) بنفسه بأنه بلا أب وبلا أم، بل هو الوالد و والدته، و بصفته هو يحمل صفات الآلوهية و جاء من ثمرة زواج مقدس، لذلك يحمل مرجعيات فكرية اسطورية من قوة روحية إلهية، الممثل بوقفة تعبدية وقارية ملكية.

توظيف فكرة الماء: لقد وظف الماء الظاهر شكلياً مع قسميه الجارية و تفرعاته الخطوطية الأربعة المموجة لكل جهة ظاهرة مع ظهور الأسماك على جواره، و المتجسدة بتقنية النحت البارز على السطح البصري لجسم التمثال الأمامي، و حيث توجد ثلاثة أشكال للإناء الفوار في هذا المنجز، لقد ظهر الأول بين يديه (ملك كوديا) و الذي يتدفق منه نهرين من الماء الموزع على جانبي جسم الملك بحركة هندسية مموجة مع عدد من الأسماك و التي ترمز الى الحياة، و وزعت اناءتين آخريتين على الأرض في جانبي اسفل التمثال، و

مجلة الأكاديمي-العدد 103-السنة 2022 ISSN(Online) 2523-2029, ISSN(Print) 1819-5229

ترتبطهما تموجات فيض الماء النابع داخل اناء الماسك بيد الملك و التي تنتهي في اناءتين أرضيتين في السفلى و فوارها مرة اخرى على الأرض، و التي تشير الإناء الأول (الإناء الأعلى) الى منبع الحياة و الخصوبة و قداسة الالهية، لان الماء هو رمز للخصوبة و صفةً للآلهة و الخليقة الأولى، و تمثل نافورة الماء من الاناءتين (السفلى) الأرضية الى خصوبة الأرض و الزراعة و استمرارية الحياة و الحيوية في الوادي.

القماش الملفوف حول الرأس= جمع بين السلطة الدينية و الدنيوية و تمثل التعويذة

اناء نافورة الماء= الخصوبة و التكاثر + خصوبة الأرض

رمزية اناء نافورة الماء= الحكمة + الخصوبة + النهرين (دجلة و فرات) + الحياة

الإناء= رمز الخصوبة + صفة الالهة

الماء= رمز الخليقة + رمز الحياة + رمز الزراعة + رمز الاستقرار

الإناء الأعلى= العالم العليا + الماء العذب + مياه خليقة الأولى و الالهة +الأزل

الإناء السفلى = العالم السفلى + الأرض + مياه خصوبة أرضية + مياه الزراعة + مياه الفيضان

.....

شكل العينة(3)

اسم المنجز: آلهة الماء الفوار مدينة ماري

تاريخ المنجز: 1800 ق.م

الخامة: حجر رخام ابيض

القياس: 150 سم

من حضارة البابلية

العائدية: متحف حلب

المسح البصري: يتكون هذا الشكل، من جسم كامل لأمرأة واقفة في وضعية أمامية، ذات وجه تعبيري بعيونها المفتوحة، و المنصوبة على قاعدة دائرية من نفس الخامة، وهي من حجر الرخام الأبيض، بملمس ناعم، و مغطية رأسها بتاج آلوهي زوجي من قرون الثور، و تحمل قارورة أو إناء الماء بين ايديها، اضافة الى تحميل اكسسوارات تزينية كالقلادة المزخرفة في عنقها، و عدد من السوار في يديها و عضدها، مع توزيع شعرها الزخرفي الملتوي على جانبي كتفيها من الامام، و تصنيفها مستطيلة الشكل في مؤخرة رأسها من الوراء، ثم تطويل الشعر على هيئة خط طويل نازل على ظهرها لحد ان تقترب نهاية جسمها، و تخطية جسدها كاملاً متجانسة مع حركة الجسم و وقفتها الثابتة، بلباس تنوري طويل الى مستوى قدميها الظاهرة بسبب وجود فتحة مثلثة الشكل فوق القدمين، حيث وزعت تنورتها على خمس اجزاء، اربعة منها المتساوية تقريباً، في القسم السفلي، و الآخر ترفع لحد ان تخطي الجسم حتى الكتفين و الأيادي بالكامل.

المرجع الفكري: ان مرجعيات الفكر في هذا المنجز، ترتبط بالجانب الأسطوري، من حيث توظيف القرون الآلوهي للثور المرموز الى القوة الآلوهية، و حيث يكون الثور رمزاً للآلهة العليا منذ القديم في بلاد الرافدين، و الخصب، لقد تركبت هذه الرمزية و الدلالات للثور مع جسم المرأة كدال على انثويتها و خصوبتها،

التي تحمل إسم الآلهة، فهي ليست للتقديس، بل تحولت قدسية الآلهة و التقديس الى التركيب المعنوي للآلهة و الجسم المادي للفتاة و تجسيد قوتها و قيمتها الأنثوية، كمنجز نحتي منصوب في الفضاء الخارجي كما يشاع في أحد ساحات قصر الملك، و جماليتها من خلال حامل الإناء لتجسد وظيفتها وهو فوار الماء.

توظيف فكرة الماء: ان حضور الماء، كعنصر توظيفي في هذا المنجز النحتي، حضور اسطوري من جانب، و تشكيلي من جانب آخر، وهو اسطوري من حيثه مادة أولية للخليقة، و له حضور فني و تشكيلي و جمالي و وظيفي، بصفته تفعل الحركة و الحيوية من خلال نبع الماء داخل الاناء، الذي يمكن ان يرتبط تقنياً بطريقة ما، بمصدر مائي آخر، ليوصل الماء اليها.

التركيب الفكري= الأسطوري+ الوظيفي+ الجمالي+ التقني

قدسية الالهة+ قدسية الانوثة= قيمة التقديس و ابرازه في شكل الفتاة

قوة خليقة الماء+ قوة الخصب= تمجيد فكر التكاثر

قوة القرون+ قوة الثور+قوة الاله= تمظهرت في قوة المراة

الحس الجمالي+ الادراك الوظيفي= قوة المنجز النحتي و تفعيل فوارية الماء

الواقعية+ الرمزية= التركيب الفكري

الإظهار الشكلي+ الإظهار التقني+ قوة الخامة+ الاظهار الوظيفي = الاظهار الجمالي

قدسية الماء+ قدسية القرون+ قدسية الثور+ قدسية المرأة= جمع و تركيب و تجسيد رمزية القداسة

.....

- نتائج البحث:

1-اظهار علاقة تشكيلية بين فكرة (الماء) وعملية التشكيل بوعي الفهم و الفكر الفني والجمالي، لتحويل الفكر الأسطوري الى انجاز نحتي في جميع أشكال العينات.

2-ترتبط فكرة الماء بالفكر الوظيفي في شكل العينة (1).

3- ترتبط فكرة (الماء) بجوانب أسطورية في جميع أشكال العينات.

4-لقد جمعت دلالات الخصوبة بين رمزية فكر (الماء) و رمزية الأنوثة الأسطورية، في شكل العينة (3).

5- تمظهرت فكرة (الماء) كعنصر مقدس في الفكر الأسطوري الرافديني، في جميع أشكال العينات.

6-ان (الماء) رمز للخصوبة و الزراعة من خلال تأكيد صورة النهرين الموجودة في وادي الرافدين، في أشكال العينات (1-2-3).

7-حيث ترتبط فكرة (الماء) بالأدب الأسطوري في شكل العينة (1).

8-يرمز (الماء) الفكري الى وجود الماء الواقعي بين البيئة الرافدينية في شكل العينة (1 و 2).

9-هناك علاقات مرجعية بين (الماء) كعنصر تكويني، توظيفي، تشكيلي، مضموني، شكلي، و الجمالي، في جميع أشكال العينات.

10-للماء دالات عديدة، كدال مرتبط بقدسية الالهة كما في أشكال العينات رقم (1، 2، 3)، و دال على المياه السفلية، كما في أشكال العينات (1، 2، 3)، و دال على الفكر الاسطوري و الأدبي كما في شكل العينة (2 و 3)، و دال على فكرة الحياة كما في الشكلين العينتين (1، 2)، و دال على القدسية كما في جميع

أشكال العينات، و دال على الخصوبة و التكاثر و الحياة، كما في أشكال العينات (1، 2، 3)، و دال فكري توظيفي اسطوري في جميع العينات، و دال توظيفي جمالي و تقني في الشكلين العينتين (3، 2).

- **استنتاج البحث:** من خلال نتائج تحليل أشكال العينات، إستنتجت اظهار علاقات تواصلية بين فكرة الماء و تلك الأفكار التي استنتجت منه، بدلالة وجوده المرئي و باستمراريته الفكرية المقدسة يتضمن افكاراً عديدة كدال على استمرارية الحياة و أصل الوجود و الخليقة و القدسية، و خصب الأرض و النمو و الزراعة، و رمز لنهرين موجودين فعلياً في البيئة الرافدينية، و يتميز بالقوى المقدسة و بفكرة الخلق و الديمومة، و ارادة الطبيعة و الآلهة في تجديد الحياة، و التي إنعكست مردودها في توظيف مواضيع الفكر الأسطوري الأدبي، و جسدته ضمن الفكر الفني من خلال النتاجات التشكيلية النحتية الرافدينية كما أظهرت في تحليل عينات البحث و نتائجه.

.....

References

1. Al-Nouri, Q. (1981, p. 103). *Mythology and Ethnology.* University of Al Mosul: House of books for printing and publishing.
2. Al-Sawah, F. (2002, p. 154). *first mind adventure.* Damascus: Aladdin's house.
3. Arabic Language Academy. (p. 9). *Al Waseet Dictionary.* Al Shorouk International Library.
4. Baqer, T. (2010, pp. 91-93-94). *Introduction to the literature of ancient Iraq.* Baghdad: house of papers.
5. Cassirer, E. (2009, p. 10). *Language and myth.* (S. Al-Ghanimi, Trans.) The United Arab Emirates: Abu Dhabi Authority for Culture and Heritage.
6. Department of Studies and Research. (2009, p. 50). *Mythology*, Civilization Documentation. Damascus: Kiwan Printing and Publishing House.
7. Fathy, I. (1986, pp. 27-28). *glossary of literary terms.* Tunisia: The Republic of Tunisia, the Workers' Cooperative for Printing and Publishing.
8. Firas al-Sawah; and Zuhair Sahib. (n.d.). *Encyclopedia of History of Religions.* and pharaonic arts. p. 13, p. 79.
9. Hassan, H. S. (p. 4-5). *The epic of Gilgamesh*, a study of issues and origins. without a place.
10. Kramer, S. (p. 251). *from Sumer tablets.* (T. Baqer, Trans.) Baghdad, Cairo: Al Muthanna Library, Al Khanji Foundation.
11. Majidi, K. A. (1997, p. 105). *Prehistoric religions and beliefs.* Oman: Dar Al-Shorouk for Publishing and Distribution.
12. Majidi, K. A. (1998, p. 163). *Sumer text.* Oman: El Ahlia for Publishing and Distribution.
13. Majidi, K. A. (1998, p. 27). *gods incense.* Jordan: El Ahlia for Publishing and Distribution.
14. Manzur, I. (Without a year, p. 3451). *Arabes Tong.* Cairo: house of knowledge.
15. Mercia, E. (1991, p. 21). *Legend appearances.* (T. N. Khayyat, Trans.) Damascus: Canaan House.
16. Mushaweh, L. (2006 p. 590). *Water in the culture of peoples.* Academy of the Arabic language in Damascus, Volume (89), Part (2), pg. 590.
17. Niema, H. (1994, p. 18). *Mythology and legends of ancient peoples.* Beirut: Lebanese Thought House.
18. Qadir, A.-R. M. (2005, p. 153). *Mukhtar Al-Sihah.* Oman: Amman house.
19. Qimni, M. (1999, pp. 25-26). *Myths and Heritage.* Cairo: Egyptian Center for Civilization Research.

مجلة الأكاديمي-العدد 103-السنة 2022 ISSN(Online) 2523-2029, ISSN(Print) 1819-5229

20. Saeed, A. (1985, p. 168). *Dictionary of Contemporary Literary Terms*. Beirut: Lebanese Book House.
21. Shabo, A. D. (2006, p. 58). *Criticism of mythological and symbolic thought.* Lebanon: Modern Book Foundation.
22. Syring, P. (2009, pp. 353-354). *Symbols in art - religions - life*. (A. Abdulhadi, Trans.) Damascus: Damascus house.
23. The Soviets, a. c. (5th Edition, 1985, p. 23). *Philosophical Encyclopedia.* Beirut: The house of the vanguard.
24. Zaki, A. K. (2000, p. 128). *legends*. Cairo: Cleopatra Printing Corporation.

.....

مجلة الأكاديمي-العدد 103-السنة 2022 ISSN(Online) 2523-2029, ISSN(Print) 1819-5229
DOI: https://doi.org/10.35560/jcofarts103/93-112

The Idea of Water, Between Mythological Literature, And Mesopotamian Sculpture

Barzan ahmad nasrullah[1]

Al-Academy Journal …….…… Issue 103 - year 2022
Date of receipt: 9/1/2022…....Date of acceptance: 7/3/2022….....Date of publication: 15/3/2022

This work is licensed under a Creative Commons Attribution 4.0 International License

Abstract:

Water represents as a basic intellectual material in the myths of creation and the start of formation, Thus, water has turned into an intellectual material in literary mythological texts in addition to its function in sculptural Mesopotamian sculpture. The research is in three sections: the first section deals with Myth, its concept, peculiarities and types, the second section is about mythological literature, the third section is about the idea of water and mythical literature. The question research question here is that does the idea of water have any impact on mythological literature? And Does it link to sculptural products? The importance of the research is that it shows the human imagination and its relationship to functioning water as a literary, mythological and formational element to discover its impact between mythological literature and Mesopotamian sculptures, and results summarizing the idea of water, and its meanings between mythological literature and Mesopotamian sculptures.

Key terms: idea, mythology, literature.

conclusion:

Through the results of analyzing the forms of the samples, it was concluded showing communicative relations between the idea of water and those ideas that were deduced from it, in terms of its visible existence and its sacred intellectual continuity. And a symbol of two rivers that actually exist in the Mesopotamian environment. Mesopotamian sculpture as shown in the analysis of the research samples and its results.

[1] College of Fine Arts / University of Sulaymaniyah, barzan.nasrullah@univsul.edu.iq .